مفاتيح تفسيرية مبسطة للقرآن الكريم

بهاء النجار

يحل علينا شهر رمضان شهر القرآن ، ويعتاد المسلمون على ختم القرآن الكريم في هذا الشهر مرة على الأقل وتقام المحافل القرآنية في المساجد في عدة دول في العالم ، ولكن مما اعتاد عليه المسلمون في التعامل مع القرآن الكريم هو قراءة القرآن ومحاولة إتقان مخارج الحروف وأحكام التلاوة ، وهذا المقدار شيء جيد ولكن هناك مستويات أعلى لا ينبغي للإنسان المؤمن الواعي الطالب للكمال أن يتركها ، فلا بد للمؤمنين أن أن يستثمروا هذه الأوقات الشريفة ذات الألطاف الخاصة في هذا الشهر الكريم حتى يرتقوا في سلّم التكامل وفق الحديث المروي (إقرأ وارقى)

لذا رأينا وضع بعض المفاتيح التفسيرية للقرآن الكريم تناسب المستويات البسيطة حتى يستفيد منها قارئ القرآن أثناء قرائته فيرقى ، باعتبار أن الأعم الأغلب من المسلمين هم من غير المتخصصين في العلوم الدينية وبالتالي لا يملكون القدرة على تفسير القرآن ، وليس من الطبيعي أن يختص الجميع بالتفسير الدقيق لأن الحياة تتطلب عدة اختصاصات ، ولكن هناك مستوى بسيط يمكن للجميع أن يستفيد منه.

وسنبدأ من توسيع فهم بعض المصطلحات الواردة في القرآن حتى يتم الأخذ بها أثناء القراءة ، ومن هذه المصطلحات:

المفتاح الأول/ الظلم :

فقد ورد هذا المصطلح كثيراً في القرآن وبيّن عاقبة الظالمين أو صفاتهم ، ولكن أغلب الناس لهم تصور ضيق حول الظلم ، حيث يعتقد البعض أن الظلم هو ظلم السلاطين ورؤساء الدول لشعوبها فقط ، وهذا الظلم وإن كان من أبرز أنواع الظلم إلا أنه ليس الوحيد ، ففي الحديث المروي والذي سأنقله وكل الأحاديث بالمعنى لا بالنص (الظلم ثلاث : ظلم لا يُغفر وهو الشرك بالله ، وظلم لا يُترك وهو ظلم الناس لبعضها ، وظلم يغفر وهو ظلم الإنسان لنفسه) ، وعليه عندما ترد آية حول الظلم والظالمين علينا أن نستحضر تلك الأصناف الثلاثة إلا أن يكون ضمن الآية قرينة تحدد نوع الظلم المذكور في تلك الآية الشريفة.

فالايات المختصة بالظلم قد تعني الشرك وقد تعني ظلم العباد لبعضهم البعض وقد تعني ظلم الإنسان لنفسه ، والصنف الأول مستبعد لدى قراء القرآن ولكن الظلم الثاني والثالث واردين وبشكل كبير ، فقد يتصور الإنسان أنه ليس بظالم للناس ولكن بكل تأكيد هو ظالم لنفسه بسبب ذنوبه التي لم يستغفر منها ، لذا عليه المسارعة الى الاستغفار والتوبة لأنه قد يكون مشمول بتلك الآيات ، كما إن عليه أن لا يفكر أصلاً بأن العباد مأمونون من ظلمه ، لأن الظلم باب واسع : فالغيبة ظلم والكذب ظلم والغش ظلم والخيانة ظلم و وووووو.

حقوق النسخ والاقتباس محفوظة لمركز أضواء

- المفتاح الثاني / الشرك :

قد يستبعد قرّاء القرآن أن يكونوا من المشركين ، لأنهم لو كانوا مشركون لما قرأوا القرآن الكريم ، أما عندما نوسع فهمنا لهذا المصطلح سنجد الأمر مختلفاً ، فالشرك بالله لا يشمل قرّاء القرآن ولكن الرياء – باعتباره الشرك الأصغر – قد يصيب الكثيرين من القرّاء سواء أثناء القراءة أو في أعمال أخرى ، وهذا لا يعني أن الشرك نوعان فقط (الشرك بالله والرياء) فهناك أنواع أخرى من الشرك مثلاً عبادة الهوى تعتبر شرك بالله ، وهذا لا يعني أنه بحكم الشرك بالله ولكن القرآن يتعامل معه كشرك ، وعليه فإن مفردة (الشرك) أو مشتقاتها يمكن أن يُشمل بها الكثيرون بل يمكن القول أن الجميع مشركون بهذا المقدار إلا من عصم الله.

وكما أن الهوى يمكن أن يُعبد فهناك أمور أخرى يمكن أن تُعبد إذا اعتبرنا العبادة هي الطاعة ، فهناك من يعبد المنصب ومنهم من يعبد المال وآخر يعبد فناناً أو رياضياً ، فكل أولئك مشركون إذا فضّلوا طاعة غير الله من المنصب والمال والهوى وغيرها على طاعة الله ، وهم مشمولون بأي آية تتحدث عن الشرك إلا أن تكون هناك قرينة تحدد نوع هذا الشرك.

- المفتاح الثالث / الكفر :

وهذا من المصطلحات التي لا يتوقع أحد من قرّاء القرآن أن يكون مشمولاً بها ، لأن الكافر هو الذي لا يؤمن بوجود الله ، وقارئ القرآن يؤمن بالله بل ومتقدم خطوات كبيرة في الإيمان ، أما إذا عرفنا أنواع الكفر فنرى الكثيرين من الناس كفاراً ولكن ليس بمعنى الألحاد ونكران وجود الله ، فالبعض كفار بأنعم الله فهؤلاء يمكن أن يشملوا بآيات الكفر التي لا تشتمل على قرينة تثبت اختصاصها بنوع معين من أنواع الكفر.

- المفتاح الرابع / الجهاد :

كثيراً ما نجد هذا المصطلح في القرآن الكريم ودائماً ما نرى القرآن يمتدح المجاهدين ، والتصور يذهب عادة الى الجهاد بالسيف أو بالآلة العسكرية ، وهو مصداق أكيد للجهاد ولكن هناك أنواع أخرى من الجهاد ربما أبرزها هو (جهاد النفس) الذي سماه رسول الله ﷺ بالجهاد الأكبر مقابل الجهاد الأصغر الذي هو الجهاد بالسيف ، لأن الجهاد الأكبر هو الذي يجعل الجهاد الأصغر مثمراً بإحدى الحسنيين (الشهادة او النصر) ، والجهاد الأصغر بلا جهاد أكبر قد يجعل من (المجاهد) آفة وإذا قُتِل يخسر الدنيا والآخرة خاصة إذا كان (جهاده) رياء أو سمعة أو انتقاماً أو أما ماشابه.

لذلك إذا وجدنا هذا المصطلح أو أحد مشتقاته في القرآن فالأولى أن تُصرف أذهاننا الى الجهاد الأكبر قبل أن نفسره بالجهاد الأصغر إلا بوجود قرينة تدل على أن المقصود هو الجهاد الأصغر ، وأن كل جهاد في سبيل الله هو الجهاد بالسيف أمر غير صحيح ، فجهاد النفس أيضاً جهاد في سبيل الله وهو أقرب من الجهاد بالسيف.

حقوق النسخ والاقتباس محفوظة لمركز أضواء

- المفتاح الخامس/ الرسول :

من الناحية اللغوية يعني (الرسول) هو الذي يحمل رسالة ، وبالتالي فيمكن أن يكون الرسول نبياً أو ولياً أو عبداً صالحاً أو حتى شخصاً عادياً أرسله الله بلا شعور لإيصال رسالة ، بل حتى الحيوان يمكن أن يكون رسولاً كما في قصة قابيل وهابيل حيث أخذ دور الرسول الغراب الذي علّم قابيل كيف يوراي سوأة أخيه هابيل ، فيتوسع مفهوم (الرسول) عن المفهوم الضيق الذي عرفناه ويمكن أن نرى كثيراً من الايات تكون مصداقها ليس فقط الرسول الذي يحمل رسالة السماء وإنما ممكن أن تشمل الرسول الذي ينبّه الناس من غفلتهم ويرشدهم الى الصراط المستقيم.

- المفتاح السادس / الرزق :

وهو من المصطلحات التي تأخذ معاني عدة ويتم التركيز على جانب واحد من الرزق وهو رزق الأموال ، مع إننا نعلم جيداً أن الأموال يمكن أن تكون وبالاً على الإنسان وتنسيه آخرته ودينه ، كما الحال في قارون الذي كان من قوم موسى فبغي بسبب المال ، كما إن الأموال تأتي عادة لأسباب أخرى مثل العلم والصحة ولباقة اللسان وبشاشة الوجه والشهادة الأكاديمية والمربي الصالح والزوجة الصالحة والابن الصالح و .... ، لذا فمن الأولى أن يطلب الإنسان من الله سبحانه أن يرزقه المقدمات التي تحقق له الأموال حتى لو كان قاصداً من الرزق هو المال.

كما إن المال في كثير من الأحيان لا يحقق كثيراً من الأمور بل قد يكون سبباً في جلب الأمور السيئة ، فكم من مريض ولديه الأموال ولا يوجد علاج لمرضه أو أن لا يوفق لطبيب يصف له الوصفة الصحيحة التي تنجيه من هذا المرض ، بل بالعكس فقد تكون صحته جيدة وبسبب الأموال بدأ يأكل كثيراً أو يسهر كثيراً أو يشرب أموراً مضرة بالصحة فيفقد صحته، وهناك نِعم كثيرة لا تتحق بالمال ويستحسن أن يطلب من الله أن يرزقه إياه مباشرة مثل راحة البال والزوجة الصالحة والابن الصالح والوظيفة المناسبة والجار الحسن و...

هذا غير الرزق المعنوي وهو إقبال القلب والنفور من المعاصي وحب أولياء الله والدعاء المستجاب والعمل الصالح و.....

لذا من الأولى أن نفهم (الرزق) ومشتقاته من الكلمات الواردة في القرآن هو المعاني العديدة له ولا نقتصر على الرزق المادي وخاصة رزق المال ، طبعاً إلا أن تدل قرينة على أن المقصود هو المال.

- المفتاح السابع/ أهل الكتاب :

والمعروف أن (أهل الكتاب) هم النصارى واليهود في الأعم الأغلب ، ولكن من الناحية اللغوية فإن (أهل الكتاب) هم الأقوام التي أرسل لهم الباري عز وجل رسلاً ورسالات وكتب سماوية ، وبالتالي فالمسلمون من الناحية اللغوية مشمولون بمصطلح (أهل الكتاب) ، ولكننا قد لا نجد موضعاً ذُكِر فيه (أهل الكتاب) ولم يكن المقصود هم النصارى واليهود وغيرهم من غير المسلمين ، ولكننا يمكن أن نستفيد من هذا المصطلح هو أخذ الدروس والعبر من تلك الأقوام والسنن الإلهية فيهم ، فإذا فعل المسلمون أفعال تلك الأقوام من (أهل الكتاب) يمكن أن يصيبهم مثل ما أصابهم باعتبار جريان السنة الإلهية إلا أن

مركز أضواء للبحوث والدراسات الإستراتيجية
أحد مؤسسات المجموعة العراقية للتسويق والتطوير
www.adhwaa.org
حقوق النسخ والاقتباس محفوظة لمركز أضواء

يشملنا الله برحمته ، فاليهود مثلاً وهم من (أهل الكتاب) يقولون أنهم شعب الله المختار ، وقولهم هذا له أثر على أرض الواقع حيث يرون باقي الأقوام عبيد لهم وحيوانات لا تستحق أن تعيش ، فعلى المسلمين أن لا يتعاملوا بهذه العقلية وإن لم يقولوها صراحة وإلا سنقع بما وقع فيه اليهود الذين طبع الله على قلوبهم بحب الدنيا وأنساهم الآخرة.

- المفتاح الثامن / الهجرة:

وعادة ما يستخدم هذا المصطلح في القرآن الكريم للتعبير عن هجرة النبي الأكرم محمد ﷺ وهجرة المسلمين من مكة الى المدينة وما لاقوه من مصاعب نتيجة تلك الهجرة حفاظاً على أرواحهم من بطش قريش وصناديدها ، إلا أن (الهجرة) في القرآن يمكن أن تكون ترك العادات القبيحة والصفات السيئة الى التحلي بالأخلاق الحميدة الى أن يصل الإنسان الى مقام النصر على النفس الأمارة بالسوء ، وهذا ما يتناوله علماء الأخلاق في كتبهم في هجرة الإنسان الطالب للكمال وهي ثلاثة مراحل (التخلي والتحلي والتجلي) ، فالتخلي تقابل هجرة المسلمين لظلم قريش وأنصارها ، والتحلي هو العيش في بيئة ومجتمع متعاطفين وهو مجتمع المدينة ، والتجلي يمثل مرحلة النصر والفتح التي حققها المسلمون بقيادة الرسول الأعظم محمد ﷺ.

وهذا المصطلح يمكن أن يكون تفريعة من تفريعات الجهاد التي ذكرناه في حلقة سابقة .

- المفتاح التاسع / المؤمنون والمسلمون:

المسلمون هم من شهدوا الشهادتين (أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) ، أما المؤمنون فهم من اكتمل إسلامهم واصبحوا في درجة عالية من الارتباط بالرسالة الإسلامية فصدّقوا بالنبي الخاتم ﷺ وأطاعوه في كل ما أمرهم به وبما أوصاهم ولم يكن لهم الخيرة من أمرهم فيما قضى وسلموا تسليماً ، فعندما أوصى بعلي عليه السلام التزموا الوصية رغم دفع الثمن الباهض وساروا على نهجه وتمسكوا بسيرته وسيرة اهل بيته عليهم السلام الى خاتم الأوصياء الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

وهناك توصيف آخر لهاتين الفئتين تبينان أن المسلمين يفوق مقامهم مقام المؤمنين بل ويفوق مقام المتقين الذين يعتبرون مرحلة متطورة في مراحل التكامل مقارنة بالمؤمنين ، وذلك استناداً الى قوله تعالى : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) أي يا مؤمنين كونوا تقاة وتقاة وتقاة الى أن تلقوا الله مسلمين وليس فقط متقين.

وكذلك وقد يفهم من المؤمنين أنهم المؤمنون بالله عز وجل فقط من دون رسالة النبي الخاتم ﷺ أو كما يسميهم البعض الموحدين ، فهؤلاء مؤمنون ولكن المسلمين الذي التزموا رسالة النبي الخاتم ﷺ بعد الإيمان بالله هم أكمل باعتبار الدين عند الله الإسلام.

مما تقدم نفهم أن تداول مصطلحي (المسلمين والمؤمنين) في القرآن يأخذ عدة معاني وليس فقط المعنى الأول الذي ذكرناه سابقاً.

مركز أضواء للبحوث والدراسات الإستراتيجية
أحد مؤسسات المجموعة العراقية للتسويق والتطوير
www.adhwaa.org
حقوق النسخ والاقتباس محفوظة لمركز أضواء

- المفتاح العاشر / الظالمون الكافرون الفاسقون :

هذه الصفات من أبشع الصفات وقد لا يلتفت أحد الى أنه قد يتصف بواحدة منها فضلاً عن جميعها ، إلا أن هذه الصفات تشترك في فئة معينة من الناس وقد لا تشترك فيها فئة أخرى ، اشتركت في ناس مؤمنين متدينين عدول ! لقد اشتركت فيمن لم يحكم بما أنزل الله ، فكل شخص قارئ للقرآن ويصل الى إحدى تلك الصفات في الآيات القرآنية فليتذكر إن أبرز مصاديف هذه الصافات هو من لم يحكم بما أنزل الله ، فلا يستبعد قارئ للقرآن أن يكون ظالماً كافراً فاسقاً فضلاً عن أنه يتصف بكل واحدة على حدة .

وقد يكون هذا الشخص قاضياً ولم يحكم بما أنزل الله أو حاكماً أو فقيهاً (بالأحرى ظاهره الفقاهة) أو أي شخص استطاع أن يحكم بما أنزل الله ولم يفعل أو تمكن من دعم من يريد أن يحكم بما أنزل الله ولم يدعم ، كل شخص بحسبه فالله أعدل العادلين وأرحم الراحمين .

وحتى لا تكون الصورة مأساوية أكثر من مأسوايتها نقول : إن المهم أن يكون الإنسان ساعياً بمقدار جهده لتطبيق حكم الله في الأرض بحيث لا يكون مقصراً ، وأن لا يكون معرقلاً لمن يريد أن يحكم بما أنزل الله ، والله هو ولي التوفيق .

- المفتاح الحادي عشر / ترك الأولى :

توصف بعض ذنوب الأنبياء والمرسلين عليهم السلام بأنها تركٌ للأولى (فتح الهمزة) ، يعني أنه كان من الأولى أن يترك هذا الأمر ولم يتركه فأصبح بمثابة الذنب ، ولكنه حقيقة ليس بذنب ، فمثلاً كان من الأولى به أن يتصدق ولم يتصدق عند ذلك يُعدُّ ذلك النبي مذنباً لمكانته الرفيعة عند الله ، فعندما نقرأ البلاءات التي يتعرض إليها الأنبياء عليهم السلام في القرآن والتي من الممكن أن تكون بسبب تركٍ للأولى – لأنهم معصومون – ، وهذه رسالة لنا بأن ترك الأولى يوقع الإنسان بالبلاء ، والأولى بنا ليس كالأولى بالأنبياء والمرسلين ، فالأولى بنا ترك المحرمات التي حرمها الله سبحانه وتعالى ، فارتكاب المعاصي والذنوب توجب وقوع البلاء كما وقع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام رغم أنهم لم يذنبوا بل تركوا أمراً كان من المرفوض أن لا يتركوه .

- المفتاح الثاني عشر/ العبادة :

هذا المصطلح ومشتقاته منتشر في آيات قرآنية عديدة باعتبار أن القرآن جاء لإفهام الناس أن الغاية من وجودهم هو العبادة ، (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) ، ولكن ما هي العبادة التي يريدها الله تعالى منا ؟ يفهم الكثيرون من العبادة هي الصلاة بالدرجة الأولى والصيام ثانياً وبعض الأعمال مثل الصدقة والحج وغيرها من العبادات الفردية ، ولكن العبادة الحقيقية هي الطاعة التامة لأمر الله عز وجل ، فتذكر الآية (اتخذ إلهه هواه) أي عبد هواه ، ولكن كيف عبد هواه ؟! هل صلى له أم صام ؟! إنما عبد هواه بطاعته له .

مركز أضواء للبحوث والدراسات الإستراتيجية
أحد مؤسسات المجموعة العراقية للتسويق والتطوير
www.adhwaa.org
حقوق النسخ والاقتباس محفوظة لمركز أضواء

ويفهم الكثيرون مع الأسف أيضاً أن كثرة العبادة هي التي تقرب الى الله سبحانه ، مع إن إبليس كان من حيث الكثرة أكثر الخلائق تعبداً ومع هذا فهو من المرجومين ، ويتم التركيز – خاصة في شهر رمضان المبارك – على صلوات معينة يطول أداؤها ساعات من الزمن ، ومع إن هذه جزءً من العبادة إلا أن هناك عبادات نوعية تجلب خيراً أكثر لصاحبها من تلك الصلوات ، فكم يكون التركيز على أن العبادة في ليلة القدر تعدل العبادة في ألف شهر ؟! وهو معنى صحيح ، ولكن هناك عبادات لا تسلط عليها الأضواء مثل التفكر ، ففي الحديث (التفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة) ، فكم منا يتفكر ؟! وكم منا يدعو للتفكر ؟! وكم شخص درس حياة المتفكرين مثل الحر بن يزيد الرياحي الذي انتقل من النار الجحيم الى الجنان والنعيم ؟!

لذا عندما تردنا في قراءة القرآن مفردة العبادة والعبد فلا نحصر أذهاننا بالصلاة والصوم وما شابه ، فهناك التفكر وقضاء حوائج الناس وإقامة العدل و ....

– المفتاح الثالث عشر/ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

يروى أن مكانة أعمال البر بما فيها الجهاد في سبيل الله قبال فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي كنفثة في بحر لجي ، والنفثة هو ما يخرج من الريق عند النفخ ، فبعد هذا الوصف البديع لهذه الفريضة العظيمة نعرف قيمتها وقيمة الأقوام التي تتصف بها ، ومن خلال هذه الرواية نعرف أن كل أعمال البر لا قيمة لها – تقريباً – مقابل هذه الفريضة العظمى بما في ذلك الجهاد في سبيل الله !! ومن هنا نعرف قيمة تديننا فهو بمقدار أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر .

ولعظم هذه الفريضة نعرف عظمة الوسائل التي تساعدنا في إقامتها ، فمثلاً الوصول الى السلطة يمكن أن يكون وسيلة – ووسيلة مهمة جداً – لإقامة هذه الفريضة التي يصفها بالمعصوم بأسمى الفرائض ، لا كما يعتقد الكثيرون أن السلطة هي للغنائم والمكاسب الدنيوية فقط وأن من يبتعد عن السياسة والسلطة فهو إنسان زاهد ورع غير متعلق بالدنيا ، فقد يكون هذا الإنسان (الزاهد الورع) مصلحاً بتوليه منصب وتمكن من إدارته إدارة مثلى ، وقد يكون مبغوضاً عند الله إن ترك تولي السلطة وهو قادر على إدارتها ، ففي الحديث (إن الله ليبغض المؤمن الذي لا دين له ، وقيل ومن : المؤمن الذي لا دين له ؟! قال : الذي لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر) وبالتالي عندما نصادف ذكر هذه الفريضة الأسمى نعرف قيمة الوصول الى السلطة لإقامتها ونعرف قيمة من يتصدى للسلطة لإقامتها ، أما من تصدى للسلطة ولم يقمها أو بحجة أنه يريد أن يقمها فهؤلاء بكل تأكيد مستثنون من القاعدة .

– المفتاح الرابع عشر/ القتل :

من المعروف لدى السواد الأعظم من المسلمين أن من قتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه النار خالداً فيها ، طيب ومن قتل الدين في قلب مؤمن ما جزاؤه ؟ ومن زرع دين الشيطان في قلوب المؤمنين ما عقابه ؟! إن المؤمن الذي يُقتل سيكون جزاؤه الجنة

مركز أضواء للبحوث والدراسات الإستراتيجية
أحد مؤسسات المجموعة العراقية للتسويق والتطوير
www.adhwaa.org
حقوق النسخ والاقتباس محفوظة لمركز أضواء

، ولكن المؤمن الذي قُتِل إيمانه وأصبح فاسقاً مخالفاً لأمر الله جل وعلا ما مصيره ؟ إنه سيلقى الله وهو مذنب فيتلقى العذاب في البرزخ ويوم القيامة حتى يطهر من ذنوبه .

لذا فالتركيز على قتل المؤمنين ليس كافياً ونجد ذلك واضحاً وجلياً في التفجيرات التي طالت العراق بعد 2003 والاهتمام الإعلامي ببشاعة هذه الجرائم والتعاطف مع الضحايا ومحاولة وضع الحلول للقضاء على هذه الحوادث أو التقليل منها على أقل تقدير ، وهذا أمر مستحسن ومطلوب ولا غبار عليه ، ولكن الاكتفاء به من دون الالتفات الى القتل المعنوي من خلال بث السموم والأفكار الخبيثة التي تحرف الإنسان عن فطرته ودينه ، فالانفجارات التي راح ضحيتها الآلاف من الأبرياء والالاف من الجرحى ما هو إلا نتيجة قتل معنوي لبعض الأشخاص الذين خدعوا بدين زائف لا أصل له ولا وجود فقاموا بهذه الأعمال الإجرامية ، ولو كان اهتمامنا بالقتل المعنوي أكبر لاستطعنا أن نقلل من القتل المادي ولحافظنا على أبناء هذا الشعب من هذا القتل ، أما الانشغال بالقتل المادي دون القتل المعنوي فسوف لن يوصلنا الى نتيجة وسنبقى نراوح في مكاننا .

– المفتاح الخامس عشر/ اليتيم :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (أنا وكفيل اليتيم كهاتين) ، هذا الحديث يبين عظم منزلة كافل اليتيم ، ولكن أي يتيم هذا ؟ هل هو الذي مات أبواه ؟ هذا أحد مصاديق اليتيم ، ولكن هل يوجد مصداق آخر لليتيم ؟ هناك مصداق ومعنى آخر لليتيم شرحته بعض الروايات وهو الذي انقطع عن إمام زمانه ، وقد يكون هذا الانقطاع بسبب جهل او انحراف او فساد عقائدي أو بسبب ظروف قاهرة كبعد المسافة أو بسبب غيبة الإمام كما في الغيبة الكبرى للإمام المهدي عليه السلام ، وبالتالي فإن اليتيم الثاني أشد حاجة للكفالة من اليتيم الأول ، مع أهمية كفالة اليتيم الأول ، وهذا ما يدعمه المصطلح السابق (القتل) فالذي يُقتل دينه أشد خسارة من الذي يُقتل جسده ، كذلك من يُبعد عن إمامه أشد خسارة من ممن يفقد ويُبعَد عن أبويه .

لذا فإن الاهتمام بكفالة اليتيم الثاني أفضل عند الله من كفالة اليتيم الأول ، وعليه نعرف كما هي الغفلة التي أصيبت بها الأمة جرّاء جهلها بأهمية كفالة اليتيم الثاني والتركيز على اليتيم الأول رغم أهميتها ، ومن هنا نعرف كيف نفهم الآيات التي ذكرت اليتيم في القرآن .

– المفتاح السادس عشر/ قتل الأنبياء :

قد يستبعد قرّاء القرآن أن يكونوا من قتلة الأنبياء على الأقل أنه لا يوجد نبي في عصرهم ليقتلوه ، ولكن القرآن نفسه الذي يقرأونه يخاطب اليهود الذين في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنهم يقتلون أنبياءهم ، فكيف يقتلون أنبياءهم ولا يوجد في عهدهم أي نبي منهم ؟! ولا نتوقع أن يكون القصد هو الآباء لأن الأبناء لا يزرون وزر الآباء ، لذا

مركز أضواء للبحوث والدراسات الإستراتيجية
أحد مؤسسات المجموعة العراقية للتسويق والتطوير
www.adhwaa.org
حقوق النسخ والاقتباس محفوظة لمركز أضواء

فإن قتل الأنبياء بتعطيل شرائعهم وتحريف سننهم ، فمن يعطل شريعة النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقد قتله صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن حرّف سننه وعطّل أحكامه فقد قتله أيضاً .

وتعطيل الشريعة يمكن أن يكون بعدة طرق قد تكون أبرزها عدم الاحتكام الى أحكامها وتركها واللجوء الى قوانين وضعية وضعها الإنسان ، وتحريف سنن الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم بإعطاء صورة منحرفة عنه صلى الله عليه وآله وسلم ، كما يفعل اليوم خوارج العصر داعش ومن قبلهم القاعدة وأفراخها .

وهنا لا بد من الالتفات الى أن قتل الشخص جسدياً أهون عند الله من قتله معنوياً بقتل مبادئه وتشويه منهجه ، بل قد يكون قتله جسدياً هو في مصلحة هذا الشخص حيث ستتبين مظلوميته وأحقية طريقته وسبيله ، أما القتل المعنوي الذي يستهدف سمعة الإنسان ودينه ومعتقده هو قتل للمبدأ والمنهج الذي يؤمن به ذلك الإنسان ، وكثير من الأنبياء سلام الله عليهم قد تم قتلهم خصوصاً أنبياء بني إسرائيل ولكن قتل مبادئهم كانت أبلغ ، لذلك فكثيرون يمكن أن يُشملوا بالآيات التي تخاطب قتلة الأنبياء نستجير بالله .

- المفتاح السابع عشر/ العدو :

عادة ما ينبهنا القرآن الكريم من الأعداء الذين يحاولون أن يفتكوا بنا بعدة طرق ومختلف الوسائل كي لا يترك للعدو مجالاً للسيطرة علينا ، ولكن المشكلة أننا نفهم المقصود من العدو هو العدو الخارجي فقط أمثال داعش ومن قبلهم الأمريكان وصدام وما شابه ، ولكن النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وآله وسلم بين لنا عدواً أخطر من هؤلاء وأشد فتكاً بنا ويستلزم قوة تفوق القوة التي يتطلبها باقي الأعداء الخارجيين ، وجهاده أكبر عند الله من جهاد أولئك الخارجيين من الأعداء مع أهمية جهادهم ، وهذا العدو هو (النفس) ، حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم : (أعدى أعدائك نفس التي بين جنبيك) فكل إنسان له عدو هي نفسه الأمارة بالسوء ولها طلبات لا تنتهي تسلك بالإنسان مسالك المهالك وتجعله عند ربه أهون هالك ، كثيرة العلل طويلة الأمل ، إن مسها الشر تجزع وإن مسها الخير تمنع ، ميالة للعب واللهو مملوءة بالغفلة والسهو تسرع به الى الحوبة وتسوفه بالتوبة ، وغيرها من الصفات التي بينها الإمام السجاد عليه السلام في مناجاة الشاكين من الصحيفة السجادية .

والاستسلام لهذا العدو يجر بالإنسان الى أن يكون عنصراً مضراً بالآخرين كصدام والأمريكان وداعش وأشباههم ، فلو تمكن كل إنسان من مسك زمام قيادة نفسه ومنعها من شهواتها لما ظهر عندنا طواغيت على مستوى الدول وعلى مستوى الأشخاص وعلى مستوى الفكر ، لأن كل إنسان عندها لا يطمع بالآخر لأن الطمع رذيلة من رذائل النفس الأمارة بالسوء فإن قضى عليها حصّن نفسه من الوقوع بشراك نفسه وجنّب الآخرين من تلك الصفة الذميمة ، ولعاش كل إنسان بخير وأمان مطمئناً لعدم وجود أي عدو .

وهذه السيطرة على النفس الأمارة بالسوء تجعل الإنسان محمياً حتى من الكوارث الطبيعية التي عادة ما تحدث بسبب ظلم الإنسان لنفسه وللآخرين ، كما تجعل ذلك الإنسان معطاءً محباً للآخرين مصلحاً لأحوالهم مرشداً إياهم لطريق الخير ،

مركز أضواء للبحوث والدراسات الإستراتيجية
أحد مؤسسات المجموعة العراقية للتسويق والتطوير
www.adhwaa.org
حقوق النسخ والاقتباس محفوظة لمركز أضواء

فكيف سيكون المجتمع لو أن كل إنسان كان محباً للآخرين ومعطاءً لهم ؟ وكم من مصلح لنفسه مجاهداً لها تنعّم مجتمعه بالخير الذي أفاضه ذلك على المصلح بسبب إصلاحه لنفسه ؟ هناك الكثير من الأمثلة على المصلحين خذ واحداً منهم وانظر الى أثر جهاد النفس على المجتمع .

مما تقدم نفهم أن اقتصار فهم مصطلح (العدو) في الآيات القرآنية على العدو الخارجي ظلم للقرآن وللدين ، إلا أن يكون هناك ما يثبت أن المقصود من هذه الكلمة هو العدو الخارجي حصراً .

- المفتاح الثامن عشر/ الطهارة :

تكون الطهارة عادة مقدمة لعمل صالح لأهميتها وتأثيرها على ذلك العمل ، وقد امتدح الله المتطهرين في القرآن الكريم ، وللطهارة مصاديق منها الطهارة الظاهرية التي تعني تطهير الجسد و الملبس والمسكن من النجاسات الظاهرية ، وهذه الطهارة عادة تكون منقوصة ومحدودة في الوصول الى التكامل ، فمثلاً إذا توضأ شخص ليصلي ونظر نظرة ريبة الى إمرأة حتى إذا كانت زوجته ولكن بشهوة فإنها ستؤثر معنوياً على الصلاة ولكنها لا تؤثر فقهياً عليها ، وكذلك إذا كذّب ذلك المتطهر للصلاة أو اغتاب أو عمل أي عمل سيء فإن عمله هذا لا يؤثر على الصلاة من الناحية الفقهية النظرية ، ولكنها تؤثر على سلامة الصلاة وقبولها وجعلها معراجاً للمصلي .

كما أن الطهارة الظاهرية تتداخل مع النظافة ، فالبعض يفهم من الطهارة هي النظافة أو بالعكس يفهم النظافة هي الطهارة ، مع إنه من الناحية الشرعية لا ترابط بينهما ، فقد يكون الإنسان طاهراً ولكنه ليس بنظيف مثل عامل الخدمات أو عامل البناء وغيرهما ، وقد يكون الإنسان نظيفاً ولكنه ليس طاهراً كما لو كان شخص موظف في موقع متميز اجتماعياً ولكن تنجست ملابسه ببعض النجاسات مثل الدم وغيره ، لذا فإن هذا التداخل يلقي بظلاله على فهم الطهارة ، فقد يتصور النظيف أنه طاهر وقد يعتقد الطاهر أنه نظيف ، وهذا سينعكس سلباً على هذا المفهوم التكاملي العظيم ، كما يؤثر سلباً على الصورة المنعكسة عن المؤمنين .

بينما الطهارة المعنوية والروحية خالية من هذه الشوائب التي وجدناها في الطهارة الظاهرية ، فلا يوجد شيء إسمه (النظافة المعنوية) ولم يذكر القرآن النظافة أصلاً ليقصد الطهارة ، رغم أن النظافة أمر عقلائي مطلوب وهو مختص بالجانب المادي ، إضافة الى ذلك فإن الطهارة الروحية هي المطلوبة من الطهارة المادية ، ومن خلال الطهارة الروحية يمكن أن تكون صلاتنا وجميع أعمالنا مرقاة لنا ويمكن أن تكون مقبولة عند الله ، وعليه فإن اقتصار فهم (الطهارة) ومشتقاتها في القرآن على أنها الطهارة المادية أمر غير صحيح .

- المفتاح التاسع عشر/ الصدق :

اشتهر نبينا الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم بصفتين هي (الصدق والأمانة) حتى قبل بعثته الشريفة ، مما يدفعنا للاهتمام بهاتين الصفتين المهمتين ودراستهما ، و(الصدق) ليس فقط الصدق بالقول والكلام وإن كان هذا أحد مصاديقه ،

حقوق النسخ والاقتباس محفوظة لمركز أضواء

وإنما الصدق مفهوم أوسع من ذلك ، فقريش وإن كانت تصف النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالصادق لأنه كان صادقاً بكلامه إلا أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان صادقاً في كل شيء ، صادقاً بأحاسيسه تجاه الآخرين ، صادقاً مع ربه .

والصدق بالكلام في بعض الأحيان يكون مذموماً عقلاً وشرعاً كما في حالة التقية حيث يستحب – وقد يجب الكذب – عند الخوف من القتل ، وقريش عندما كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم صادقاً بالكلام كان محبوباً لديهم ولكن عندما اكتشفوا أن صدقه لم يتوقف الى هذا الحد بل أدركوا أن صدقه هو صدق مع خالقه أصبح عدواً لهم ، لذا فالصدق مرتبة شريفة اختص بها خاصة عباد الله ، فلا يتوهم أحد من قرّاء القرآن أن الصادقين الذين يذكرون في القرآن هم الصادقين في الكلام فقط .

– المفتاح العشرون / الكذب :

ومما تقدم نعرف قيمة الكذب إذا عرّفناه بأنه عكس الصدق ، وندرك معنى قول النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم عندما سئل : المؤمن يزني ؟ قال : نعم ، فسئل : المؤمن يسرق ؟ قال : نعم ، فسئل المؤمن يكذب ؟ قال : لا يكذب . فمن النظرة الأولى قد يستغرب أن يكون الكذب ذنباً أشد من الزنا والسرقة ، وهو بلا شك كذلك لما للكذب من آثار سلبية تفوق الآثار السلبية للزنا والسرقة رغم شدة ما ينتج عنهما من آثار ، ولكن إذا فهمنا الكذب على أنه عكس الصدق الذي شرحناه في الفقرة أعلاه فسوف لن نستبعد هذا المعنى ، فالكذب باللسان يمكن أن يثير هذا الاستغراب – وإن كان هذا الاستغراب غير مبرر – إلا أن فهمه بالطريقة أعلاه بالتأكيد سوف يبعد هذا الاستغراب .

ومن هنا نفهم أن مصطلح (الكذب) في القرآن له عدة معاني ومستويات فيمكن أن يكون المقصود بالكذب هو الكذب باللسان وممكن أن يكون الكذب بالتعامل مع الله ، فكم منا من يقول (لا إله إلا الله) وهو يعبد ويطيع غير الله ؟! فبعض يعبد نفسه الأمارة بالسوء فيتخذها إلهاً وبعض يعبد منصبه ووجاهته فيتخذه إلهاً ، وآخر يعبد حزبه فيتخذه إلهاً وهكذا ، ووفق هذا المقياس نكتشف أن الغالبية العظمى من الناس هم من الكاذبين ، وأن المعصومين فقط هم ليسوا بكاذبين !!!

– المفتاح الحادي والعشرون / النفاق :

إذا عرّفنا النفاق أنه ما خالف ظاهره باطنه فهذا يعني أن ظاهر الإنسان إذا كذّب باطنه فهو منافق ، وهذا الإنسان بمعنى من المعاني هو كاذب أو غير صادق ، وبالتالي فكثير من (المنافقين) الذين يذكرهم القرآن تنطبق عليهم صفة (الكاذبين) ، وكثير من (الكاذبين) الذين يذكرهم القرآن تنطبق عليهم صفة (المنافقين) ، وكلا الفريقين (المنافقين والكاذبين) هم غير مشمولين بفئة (الصادقين) ومحرومون من النعيم الذي يعيشونه إذا كانوا بنفس المستوى .

مركز أضواء للبحوث والدراسات الإستراتيجية
أحد مؤسسات المجموعة العراقية للتسويق والتطوير
www.adhwaa.org
حقوق النسخ والاقتباس محفوظة لمركز أضواء

- المفتاح الثاني والعشرون / معيار الخسارة :

ربما يعتقد البعض أن أكثر الخاسرين وأسوأهم هم الكفار أو ربما المشركين ، لكن القرآن الكريم يبين لنا معياراً آخر للتفاضل بين البشر ، وفق هذا المعيار يتضح لنا أن من الممكن أن يكون الإنسان أشد خسارة من الكفار والمشركين يوم القيامة ، وهؤلاء هم (الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً) ، وقد يكون الكفار والمشركين في أشد العذاب لكون هذه الآية تنطبق عليهم لا لأنهم كفار ومشركون ، وهذا ما يطلق عليه حديثاً بالجهل المركب ، وهو الذي لا يعلم ولا يعلم أنه لا يعلم ، وعلى هذا الأساس نجد دعاءً مروياً عن المعصومين عليهم السلام يقول فيه (اللهم أرني الحق حقاً وارزقني اتباعه والباطل باطلاً وارزقني اجتنابه) ، لأنه قد يرى الحق باطلاً والعياذ بالله فيتركه فيحسب أنه يحسن صنعاً لأنه ترك الباطل مع إنه ترك الحق ، وقد يرى الباطل حقاً والعياذ بالله فيتركه فيحسب أنه يحسن صنعاً لتركه الباطل مع إن الواقع أنه ترك الحق فيكون أخسر الخاسرين نستجير بالله .

وقد يكون بعض المؤمنين الأشد خسارة من بين أقرانهم في مستوى معين من الإيمان إذا كان يعتقد أنه على حق وأن طريقه ومنهجه وسلوكه هو الصراط المستقيم ولكن لكونه لم يتبين ويدعم إيمانه بالحجة والبينة ممكن أن يكون من الأخسرين أعمالاً من بين أولئك لأنه يظن أنه يحسن صنعاً وليس متيقن من ذلك بحجة أو دليل قاطع ، وإذا أخذنا الآية على إطلاقها ولم نقيدها فإن من الممكن أن يكون المؤمن الذي لم يتبين من صحة معتقده بدليل وحجة قاطعين أن يكون أسوأ حالاً وأشد خسارة من الكافر أو المشرك الذي تبين له ولو بشكل إجمالي أن طريقه صائب ، فوفق هذا المعيار يكون الأشد خسارة هو من لم يتحقق من سلوكه واعتقاداته واعتمد الظن في اتخاذ دينه ومسلكه وليس للإيمان والكفر دور في التقييم .

ومن الأخسرين أيضاً الذي بينتهم بعض الروايات هم (المنافقون) ، فإنه يروى (أن المنافقين في الدرك الأسفل من النار) وهذا يعني أنهم أسوأ حالاً من الكفار والمشركين لأن خطرهم أشد ، فالكافر والمشرك عدوان بيّنان وواضحان بينما المنافق يظهر الإيمان ويضمر الكفر وبصورة عامة يظهر لك عكس ما يعتقد به فيكون التعامل معه صعباً ، فإذا اعتمدنا هذا المعيار فإن الدرك الأسفل من مستوى معين من العذاب يكون لمن (يظهر لك عكس ما يعتقد به) لا وفق اعتقاده ولا وفق ما يظهره .

ومن الأخسرين أيضاً هم المعاندون ، حيث نقرأ في دعاء كميل المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام (وتخلد فيها المعاندين) ، مع إن المعرفة السائدة هو أن الكفار والمشركين هم من يخلدون في النار ، إلا أن أمير المؤمنين عليه السلام يبين معياراً آخراً للخسارة باعتبار أن الخلود في النار هي الخسارة بعينها وغيرها لا تعد خسارة إذا ما قورنت بها ، أما الكفار والمشركون فقد يخلدون في النار لعنادهم لا لكفرهم وشركهم .

مركز أضواء للبحوث والدراسات الإستراتيجية
أحد مؤسسات المجموعة العراقية للتسويق والتطوير
www.adhwaa.org
حقوق النسخ والاقتباس محفوظة لمركز أضواء

- المفتاح الثالث والعشرون / النصر :

كثيراً ما تناول القرآن هذا المصطلح البهيج الذي يشرح الصدر حينما يسمعه الإنسان ، لأن الله سبحانه وتعالى يريد أن يؤكد أن النصر حليف المؤمنين حتى لو انتصر ظاهراً أعداؤهم ، فكيف إذن ينتصر المؤمنون رغم انتصار أعدائهم ؟!

في البداية علينا أن نبين العدو ثم نبين متى يتحقق النصر ، فالنصر يكون مؤزراً كلما كان العدو شرساً ، وقد بيّن لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما يروى عنه أن (أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك) وفي حادثة مروية أخرى وصف فيها جهاد النفس بأنه الجهاد الأكبر مقارنة بالجهاد الأصغر الذي يمثل جهاد العدو الخارجي ، وبالتالي فيمكن أن ينتصر المؤمن في اليوم والليلة عشرات المرات بانتصاره على نفسه الأمارة بالسوء عندما تدفعه لارتكاب المعاصي ، بل حتى عندما تدفعه لعمل المكروهات أو عمل المباحات من دون نية القربة الى الله ، ومن هنا نفهم الدعاء المروي عن المعصومين عليهم السلام (اللهم اجعلني أخشاك كأني أراك وأسعدني بتقواك ولا تشقني بمعصيتك) ، فالسعادة بالتقوى جاءت لانتصار المؤمن على نفسه بينما الشقاوة جاءت بسبب هزيمة المؤمن في حربه وجهاده لنفسه .

وقد يكون النصر بانتصار قيم الدين وأحكامه وشرائعه ، لأن الجميع يذهبون قرباناً لهذا الدين العظيم ، وهذا ما حدث بالضبط مع سيد الشهداء عليه السلام عندما قُتِل هو وأهل بيته وأصحابه ، ومع هذا فإن ولده السجاد عليه السلام يعتبر النصر هو انتصار الدين باستمرار رفع أذان الإسلام وكشف زيف المدعين للقيادة الدينية ، مع إن المقتول هو ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فالمؤمن إذا وجد دينه عزيزاً ومعتقده في تطور وانتشار وتوسع ورفعة فلا يهمه إذا هُزِم المؤمنون في معركة ما كما يحدث الآن في الحرب مع داعش ، وأن الفتن والخطط الشيطانية المحاطة بالمسلمين عصيّة على الدخول الى الساحة الإسلامية فهذا هو النصر الحقيقي ، أما إذا حدث العكس فعليه عندها أن يحزن ويتألم وهذا ما نراه في الغزو الثقافي اليوم لمجتمعاتنا الإسلامية وأن يعد العدة لنصرة دينه بإرجاع أفراده الى الطريق الحق الذين آمنوا به ويجنبهم من فتن الأعداء .

ووفق هذا الإيضاح نفهم أن النصر في القرآن مفهوم واسع يبدأ من النصر على النفس الأمارة بالسوء مروراً بانتصار مبادئ الإسلام ومن ثم الانتصار على الأعداء الخارجيين .

- المفتاح الرابع والعشرون / التابع والمتبوع :

تناولت آيات شريفة عديدة الجدال والنقاش الذي يجري بين التابعين (الأمة) والمتبوعين (القيادة) ويلقي كل طرف باللائمة على الطرف الآخر ويحمله مسؤولية ما يجري عليهم من عذاب وشقاء ، وعادة تُصرف الأنظار على أن المقصودين هم الكفار والمشركين من القيادات وعوام الناس ، وهذا وإن كان أحد مصاديقهم إلا أن حصر التفسير بأولئك يحتاج الى دقة ، خاصة إذا لم تكن هناك قرينة في تلك الايات تدل على ذلك ، وقد استخدمت بعض الآيات الكريمة صيغة (الذين استكبروا) للمتبوعين أو القادة و (الذين استضعفوا) أو (الضعفاء) للتابعين .

حقوق النسخ والاقتباس محفوظة لمركز أضواء

وبما أن (الكفر) الذي ورد في بعض الآيات التي تناولت الجدل بين (الذين استكبروا) و (الذين استضعفوا) لها عدة معاني لا تقتصر على الكفر العيني الإلحادي فهذا يعني أن الكفر في هذه الايات ممكن أن تكون بمستويات أخرى مثل كفر النعمة وغيرها – كما بينا في حلقات ماضية – خصوصاً وأن استخدام لفظ (الذين استكبروا) و (الذين استضعفوا) يريد أن يلفت الانتباه الى صفة الاستكبار عند القيادات والاستضعاف عند الأمة ، فحتى لو كان المقصود من الآيات الشريفة تلك هو القيادات الكافرة فلأنها مستكبرة وليس لأنها كافرة ولأن الأتباع مستضعفون سواء هذا الاستضعاف بسبب استكبار قياداتهم أو بسبب اتباعهم لتلك القيادات من دون شروط أو أسس ومعايير شرعية فأصبحوا أذلاء أُسراء كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام : (أطع من شئت تكن أسيره)

وعليه نفهم أن المراد من المستكبرين هم كل المتبوعين والقيادات المستكبرة المزيفة التي تولت مقاماً ليس أهلاً لها إما حباً للدنيا والسلطة والجاه أو حسداً من أن يتولاها من هو أهل لها فتتركهم الأنظار متوجهة إليه أو جهلاً بما يجب عليه فعله من الناحية الشرعية ، وأما المستضعفون فهم أولئك الأتباع الذين اتبعوا قيادات مزيفة أو منحرفة أو جائرة من دون أي أساس شرعي ولا أي حجة أو دليل على ذلك الانقياد ، وقد اتبعوهم إما لغاية ومصلحة حزبية أو سياسية أو حتى دينية أو لمصلحة شخصية أو منصب أو جاه ، أو جهلاً بشروط القيادة الواجب اتباعها تقصيراً لا قصوراً .

وقد لا تنحصر هذه القيادات بالقيادات السياسية والاجتماعية بل قد تشمل القيادات الدينية ، لأن القرآن أطلق صفة (الذين استكبروا) على القيادات الدينية التي واجهت المصلحين ، فاعتراضهم كان لعلة دينية لا علة سياسية أو اجتماعية ، نعم ربما تكون العلة الحقيقية سياسية واجتماعية لكن الدخول لتحقيق هذه العلة كان بغطاء ديني ، لأنهم لو استخدموا العنوانين السياسي والاجتماعي لما استمعت لهم الأمة لأن المصلحون جاءوا بعنوان ديني وليس سياسي أو اجتماعي .

– المفتاح الخامس والعشرون / الفتنة :

تناولنا في حلقة ماضية من حلقات (مفاتيح تفسيرية مبسطة للقرآن الكريم) موضوع القتل في القرآن ، وبيّنا أن القتل قتلان جسدي ومعنوي ، فالقتل الجسدي معروف هو قتل الإنسان وإماتته ، أما القتل المعنوي هو قتل دين الإنسان وعقيدته وسمعته من دون قتله ، وهذا ما يمكن أن يكون مصداقاً للفتنة ، لأن من مصاديق الفتنة هو نخر الشيء من الداخل ويبقى مظهره مقبولاً ، فكثيرة هي محاولات زرع الفتنة في الساحة الإسلامية وكثير منها قد نجحت للأسف وبعضها فشلت بجهود المصلحين والعاملين الرساليين الذين يدافعون عن الإسلام والمسلمين من هذه الهجمات ، وأوضح تلك الهجمات الغزو الثقافي الذي يتعرض له مجتمعنا الإسلامي ، فنرى الإنسان المسلم صائماً مصلياً حاجاً لبيت الله ولكنه لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لأن هناك سلوك جمعي بأن (لا إكراه في الدين) وبالتالي كل يسير على ما تشتهيه نفسه ويأخذ بالأحكام الشرعية ما ارتاحت لها نفسه أما ما تلفظه فيعارضها حتى لو كانت صادرة من الله سبحانه بحجة المدنية وأن الدين لله والوطن للجميع !!!

حقوق النسخ والاقتباس محفوظة لمركز أضواء

هناك كثير من المفاهيم والشعارات سوَّقت إلينا – وابتلع كثير منا للأسف هذا الطعم – ظاهرها حب الإنسان والحياة مثل حقوق الإنسان وحقوق المرأة وغيرها ولكن باطنها الفتنة يراد منها قتل الدين في نفوس المسلمين ، لذا صدح القرآن الكريم بصراحة (والفتنة أكبر من القتل) و في موضع ثاني (والفتنة أشد من القتل) ، فلا نهتم كثيراً بمواجهة القتل أكثر من اهتمامنا بمواجهة الفتنة ، فرغم أن قتل المؤمن كبير عند الله وعند المسلمين إلا أن هذا المؤمن مصيره الجنة إن شاء الله ، أما قتل الدين والعقيدة فسيفرغ الإنسان من قيمته الروحية والعقائدية وإذا استمر الإنسان بلا دين او بدين مزيف فسيكون خطره على المجتمع الإسلامي كبيراً وإذا كانت خاتمته على هذا الوضع سيكون مصيره النار والعياذ بالله ، وهذه النتيجة بالتأكيد أسوأ من الأولى وتستدعينا الى محاربة الفتنة أشد وأكبر من محاربة القتل .

فـ(الجهاد) هذا المصطلح الإسلامي القرآني الرائع الذي تُصان به المجتمعات الإسلامية قد شوِّه من قبل بعض العصابات التكفيرية المنحرفة التي لبست الإسلام بالمقلوب – على حد تعبير أحد مراجع الدين – فأصبح الجهادي هو الإنسان السيء الذي لا إنسانية له ولا دين ، وأصبح الجهاد عند طوائف أخرى من المسلمين لتحقيق غايات سياسية وأصبح السياسيون المعروفون بالفساد ينادون بالجهاد رغم أننا لم نرَ منهم اي موقف سياسي يدل على إسلاميته أو تدينه خوفاً من أن يقال أنه إسلامي ، الآن صار ينزل لساحة القتال ببدلته العسكرية ويحضر الاجتماعات السياسية بها لأن (الجهاد) أصبح موجة لا بد من ركوبها وإلا سيغرق وتذهب جهوده الدنيوية السابقة أدراج الرياح ، لماذا لم نر من هؤلاء السياسيين (المجاهدين) في سابق الأيام دفاعاً عن الفتنة التي تعصف بالمسلمين ؟! لماذا لم يتخذوا موقفاً يحفظ دين أبنائهم واحفادهم ؟! لماذا لم يشرّعوا قانوناً يمكن أن يصونوا به دين أتباعهم الذي اتبعوهم اتباعاً أعمى ؟! أين جهادهم الأكبر ؟! .....

هذا كله فتنة ونبهنا القرآن منها وأرادنا أن نهتم بمواجهتها أكثر من الاهتمام بمواجهة القتل .

– المفتاح السادس والعشرون / الصيام :

ونحن في شهر الصيام لا بد من معرفة الصيام من خلال القرآن لا من خلال الكتب الفقهية التي تتعامل مع أدنى مستوى الإيمان والإسلام ، فالقرآن يبين لنا أن ثمرة الصيام هو التقوى ، ومن دون تحصيل التقوى فهذا يعني أن صيامنا لم يكن وفق ما أراده الله جل شأنه ، والأحاديث والروايات الشريفة تذهب بنفس الاتجاه ، إذ يروى أن النبي صلى الله عليه وآله سمع امرأة تؤذي جيرانها وهي صائمة فأمر بإحضار الماء لها لأن لا فائدة في صيامها وهي بهذه الأخلاق ، مع إن إيذاء الجار ليس من المفطرات من الناحية الفقهية ولكنه مخالف للسالكين في طريق التقوى ، ومن هذه الرواية نفهم أن كل عمل يعرقل الوصل الى التقوى مرفوض من قبل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ، وهذا الرفض ليس من الناحية الفقهية وإنما من الناحية الأخلاقية والتكاملية .

كما يروى عن المعصومين عليهم السلام (من صام صامت جوارحه) وهذا يعني أن الصيام الحقيقي هو صوم الجوارح ، وعدم صوم الجوارح لا يعد صياماً من الناحية الأخلاقية والتكاملية ، وصوم الجوارح هو الخطوة الأولى نحو

مركز أضواء للبحوث والدراسات الإستراتيجية
أحد مؤسسات المجموعة العراقية للتسويق والتطوير
www.adhwaa.org
حقوق النسخ والاقتباس محفوظة لمركز أضواء

التقوى التي يريد القرآن أن نصل إليها ، وهذا الصوم – أي صوم الجوارح – يفترض أن يكون مستكراً عند الإنسان المؤمن السالك لطريق التقوى ، بينما الصوم الفقهي ينتهي مع انتهاء شهر رمضان وبعض الأيام المستحبة .

وإذا ضممنا تفسير (الصبر) في قول الله عز وجل : (واستعينوا بالصبر والصلاة) بأنه الصيام والذي من الممكن أن نعتبره احد مصاديق الصبر في كل مورد من موارده في القرآن ، مع هذه الضميمة نفهم الصبر على أنه صوم الجوارح ، وأي مؤمن يريد أن يقترب من درجة التقوى عليه أن تصو جوارحه ويصبر على المعصية والطاعة والمصيبة فلكل منها درجة خاصة عند الله سبحانه وتعالى ، ويعضد هذا الفهم الرواية المروية عن المعصومين عليهم السلام (الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد) ، فإذا كان لم يكن للإيمان معنى بانعدام الصبر فكيف يكون للتقوى سبيل بفقدان الصبر .

– قواعد تفسيرية عامة :

هناك قواعد تفسيرية عامة يمكن أن تخدم القارئ الكريم للقرآن العظيم ، نذكر منها ما جاء في الآية 7 من سورة الحجرات ((ولكن الله حبب اليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكرّه اليكم الكفر والفسوق والعصيان)) ، فهذه ومثلها آيات كثيرة وحتى أحاديث شريفة تعطينا قاعدة تفسيرية تقييمية ، فحسب هذه الآية فإن الله جل وعلا حبّب الى المؤمنين الإيمان وزينه في قلوبهم ، وبالتالي فأي شخص يعتبر نفسه مؤمناً ولم يحب الإيمان – سواء بالمعنى العام أو الخاص – ولم يراه زينة في قلبه هل يمكن أن نقول عنه مؤمن بالمفهوم القرآني ؟! بالتأكيد لا ، ربما يكون مؤمناً بمقاييس أخرى ولكن وفق هذا المقياس القرآني فلا ، وهناك طبعاً مراتب للإيمان وفق هذا المعيار القرآني ، فكلما أحب الإنسان الإيمان ووجده زينة في قلبه أكثر كان إيمانه أبلغ وأعمق والعكس بالعكس ، والإيمان نفسه يتدرج فحب الإيمان العام – أي في العقائد والأصول – ليس كحب الإيمان بالمعنى الخاص كحب الفروع مثل العبادات ، فقد يكون الإنسان محباً للفروع وجزئيات الإيمان ولكنه يجد غضاضة في حبه للعقائد والأصول ، فهذا درجة إيمانه ليس كمن يكون حبه للإيمان العام .

والشطر الثاني من الآية (وكرّه اليكم الكفر والفسوق والعصيان) يوضح جانباً آخراً من هذا المعيار القرآني ، فمن يجد في نفسه رغبة وحب للكفر أو الفسوق وارتكاب المحارم وعصيان الله فيما يأمر فهذا لا يمكن أن نعتبره مؤمناً وفق هذا المعيار حتى وإن لم يفعلها ، وإن كان فعلها يؤكد حبه لهذه الصفات البذيئة ولكن مجرد حبه لها يخرجه من هذا التصنيف القرآني للمؤمن ، فالمؤمن يجب أن يجد في قلبه كراهة للكفر – أي على مستوى العقائد – والفسوق والعصيان فيما يخص الذنوب والمحرمات الأخرى ، وإذا لم يجد هذا الكره فعليه أن يروّض نفسه على ذلك وإلا سيحرم من هذه الدرجة الإيمانية ، وعليه أن يفتش عن أسباب حبه للكفر أو حبه للفسوق أو حبه للعصيان حتى يعالجها ويقضي عليه ، لأن هذا الكره (وحتى حب الإيمان الذي تناولته الآية في الشطر الأول منها) هو أمر فطري ومخالفته يدل على وجود موانع جاءت بسبب الغفلة والابتعاد عن الله وارتكاب المحارم .

وفق هذا الفهم للآيات يمكن أن نفهم كثيراً من الآيات ، حيث نقسّم الآية الى جزئين جزء أشبه بالشرط والجزء الآخر أشبه بجواب الشرط ، ففي الآية المتقدمة الجزء الأشبه بالشرط هو تحبيب الإيمان وتزيينه في القلوب ، والجزء الأشبه

حقوق النسخ والاقتباس محفوظة لمركز أضواء

بجواب الشرط هو من كان مؤمناً حُبِّب الإيمان في قلبه وزيّن في قلبه ، فمن كان مؤمناً كان الإيمان محبباً الى قلبه ومزين في قلبه ، أما من لم يُحبَّب إليه الإيمان ولم يزيّن في قلبه فهذا ليس مؤمناً وفق معايير هذه الآية ، فحتى يكون الإنسان مؤمناً يجب أن يحقق شرطاً وهو أن يكون الإيمان محبباً إليه ومزين في قلبه .

وحسب هذا الفهم يمكننا أن نفهم أيضاً الروايات الشريفة والحكم المفيدة ، فمثلاً (من أخلص لله أربعين صباحاً جرت الحكمة من قلبه على لسانه) ، فمن حاول أن يخلص لله أربعين ولم تجرِ الحكمة من قلبه على لسانه فليعلم أنه لم يخلص حقيقة وبالدقة التي تريدها الرواية لله وإلا لو أخلص فعلاً لجرت الحكمة من قلبه على لسانه لأن الرواية صحيحة وصادرة من معصوم ، فإما أن نضرب الرواية أو أن نقبل بالمعادلة التي تنقلها ، فكل إخلاص لله أربعين صباحاً يقابله جريان الحكمة من القلب على لسان ، فإذا لم تجرِ الحكمة فالمشكلة في الإخلاص .

حقوق النسخ والاقتباس محفوظة لمركز أضواء